"في التسليم للعترة الطاهرة"

خطاب الإمام علي الرضا عليه السلام
مناظراته مع النصارى في هدْي علم مقارنة الأديان

Imam Ali Al-Ridha Discourse : Argumentation with the Christian in the Light if Science of Comparative Religions

م. د. جليل صاحب خليل الياسري
Lectur. Dr. Jaleel Sahib Khaleel Al-Yassari
العراق/ مديرية تربية كربلاء المقدّسة
Iraq/Education Directorate of Holy Karbala

Jalel-sahib@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخّصُ البحث :

فعلم مقارنة الأديان من العلوم المهمة التي تجلّت في التراث الإمامي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، على يد إمام كبير في السلسلة المعصومية، هو الإمام الرضا عليه السلام، وقد سعى الباحث للوقوف عند أهم مفاصل هذه المنهجية لإثبات أسبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا العلم، على كلّ من اعتنى به في التراث الإسلامي بوجه عام، وما ذكر عنهم في روايات التفرد المعلوماتي لما خصهم الله به من علم لدنّي بوجه خاص، بحسب اعتقادات اتباع هذه المدرسة الكبيرة.

وقد جاء هذا البحث لتحقيق هذا المطلب موسوماً بـ(خطاب الإمام الرضا عليه السلام، مناظراته مع النصارى في هدْي علم مقارنة الأديان)، واقتضت طبيعة البحث أن يكون على تمهيد ومبحثين، فأمّا التمهيد فقد وُسِم بـ(في المنهجية المقارنة)، وتكفّل بوضع الحدود العامة بين علم مقارنة الأديان والأدب المقارن، وكشف عن نقاط التلاقي والتقارب بينهما، وأما المبحث الأول فقد اختصَّ بدراسة(البعد التنظيري: اشتراطات تحقق المنهجية المقارنة عند الإمام الرضا عليه السلام)، وجاء المبحث الثاني ليشتغل على (البعد الإجرائي: المنهج المقارن في مناظرات الإمام الرضا عليه السلام مع النصارى)، وانتهى الباحث بخاتمة لخَّصتْ أهم النتائج المستنبطة من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية :

مقارنة الأديان، البعد التنظيري، الامام موسى الكاظم عليه السلام

Abstract:

Thanks be to the Evolver of the worlds and peace and prayer be upon the messenger of Allah and his progeny .Now

Science of comparative religions is one of the importance sciences hat takes entity in the imamate legacy of the Ahlalbayt school . Such comes to the fore at the hand of an infallible : Imam Ali Al-Ridha , Peace be upon n him, the researcher here endeavors to tackle the most essential conjecture , that is, the Ahlalbayt takes precedence in the field of comparative religions over other people . As they are granted by Allah to have such a great niche , the current paper Traces such a point , Imam Ali Al-Ridha Discourse : Argumentation with the Christian in the Light of comparative religions and sets an introduction with two chapters . The introduction is entitles as , in the Methodology of Comparison, and delimits itself to state the frontiers of comparative religions and literature to gain the points of similarity and difference. The first chapter manipulates the theoretical scope : conditions to have the comparison methodology in the argumentation of the imam with the Christian , yet the second one does the procedural scope the comparative methodology in the argumentation of the imam with the Christian . Finally there is a conclusion with results of the article.

key words :

Comparison of religions, the theorizing dimension, Imam Musa al-Kazim

المقدّمة:

إنَّ التراث الإمامي خطاب ثرّ تحشَّد بعلوم جمة، مختلفة الميادين، لم يَلتفت الدارسون إلى كثير منها، وكان علم مقارنة الأديان من العلوم المهمة التي لم يولوها الاهتمام المستحق، فأهملوا إهمالاً عجيباً المرويات المعصومية التي أسست لهذا العلم، وثبتت خطوطه العريضة التي انطلق منها.

فعلم مقارنة الأديان من العلوم المهمة التي تجلّت في التراث الإمامي في الخطاب المقارن للإمام الرضا عليه السلام، وقد سعى الباحث للوقوف عند أهم مفاصل هذه الاشتغالات لإثبات أسبقية أئمة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا العلم، على كلّ من اعتنى به في التراث الإسلامي بوجه عام.

وقد جاء هذا البحث لتحقيق هذا المطلب موسوما بـ(خطاب الإمام الرضا عليه السلام، مناظراته مع النصارى في هدْي علم مقارنة الأديان))، واقتضت طبيعة البحث أن يكون على تمهيد ومبحثين، فأمّا التمهيد فقد وُسِم بـ(في المنهجية المقارنة)، وتكفّل بوضع الحدود العامة بين علم مقارنة الأديان والأدب المقارن، وكشف عن نقاط التلاقي والتقارب بينهما، وأما المبحث الأول فقد اختص بدراسة(البعد التنظيري: اشتراطات تحقق المنهجية المقارنة عند الإمام الرضا عليه السلام)، وجاء المبحث الثاني ليختص بدراسة(البعد الإجرائي: **المنهج المقارن في مناظرات الإمام الرضا عليه السلام مع النصارى**)، وانتهى الباحث بخاتمة لخَّصتْ أهم النتائج المستنبطة من هذا البحث.

وحسبي في هذا البحث أنّي حاولت لفت الأنظار إلى هذه الموضوع المهم، في الثقافة الإسلامية بعامة، وفي ثقافة أتباع أهل البيت عليهم السلام على وجه الخصوص، فإن أصبت فبفضل من الله، وإن كانت الأخرى فهي من عندي، ويهوِّن عليّ أنّي حاولت الخوض في موضوع لم يزل في الظل، فأسال الله أن يتقبل صالح أعمالنا، ولا يشملنا قوله الحق: ويل لهم ممَّا كسبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون.

التمهيد:

في المنهجية المقارنة:

علم مقارنة الاديان هو علم بعيد الجذور، تصالح الغربيون على تسميته تلك نهاية القرن التاسع عشر، في خضم ثورة المصطلحات التي راجت آنذاك، وهو دراسة أنواع متعددة ومختلفة من التجربة الدينية وتحليلها، من حيث أصولها النظرية وممارساتها الواقعية، وذلك من طريق المقارنة بين الأديان محل الدراسة[1].

وإذا كان الأدب المقارن هو دراسة النصوص الأدبية خارج الدائرة اللغوية التي تنتمي إليها تلك النصوص، للوصول إلى حقيقة معينة، سواء كانت تقترب من التأثير والتأثر أو تبتعد عنه، بحسب توجّهات المدارس المقارنة[2]، فإن علم مقارنة الأديان يتعامل مع نصوص عالية خارج الدائرة اللغوية لتلك النصوص أيضا، لإثبات حقائق معينة، يقتضي طريق الوصول إليها في كثير من الأحيان توظيف القضايا الأدبية والبلاغية التي هي في صلب اشتغالات الأدب المقارن.

إنَّ ما يقدسه النصارى من أسفار العهد الجديد التي كتبها أصحابها من تلامذة المسيح أو من جاء بعدهم بعد رفع المسيح، فتلك القصص والسير والرسائل البشرية، ليست وحي الله تبارك وتعالى المنزل على النبيّ عيسى عليه السلام، فيكون -والحال هذه- تعامل الدارسين مع ذلك الكتاب تعاملاً سلبياً، وتكون الجهود متجهة إلى إثبات بشريته، وانعدام طريق نسبته إلى الله تعالى، وأنّه كتاب عمد فيه بشر إلى كتابات بعضهم، فنسبوها إلى الله زوراً وبهتاناً، وقد وثّق القرآن الكريم ذلك بآيات عدة منها قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ ﴿البقرة: ٧٩﴾، فالآية

-ومثيلاتها كثير[٣]- بيان إلهي واضح، يعلن فيه القرآن أنّ أهل الكتاب من يهود ونصارى قد حرّفوا كلمة الله، وأضافوا فيها ما ليس منها، فما بين أيديهم من أسفار العهد القديم والجديد ليس كلمة الله، وهذا لا يمنع أن تكون بعض فقرات العهد الجديد صادقةً، وهي تخبرنا عن بعض سيرة السيد المسيح عليه السلام، أو تنقل إلينا بعض هديه وقوله وفعله، فهذا مجمل اعتقاد المسلمين في هذه المسألة، أما المسيحية فهي تؤمن أن أسفار العهد الجديد هي كلمة الله التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام من الروح القدس[٤].

لكن دارسين آخرين في علم مقارنة الأديان رأوا أن يسايروا النصارى في إنجيلهم المزعوم، فوظّفوا علومَ العربية في الرد على قضايا الخلاف المركزية التي يعتقد بها النصارى كإلوهية عيسى، واتحادِه بالله تعالى، وكونِه ابنَ الله تعالى، فافترضوا جدلاً تسليمهم بما ينسب إلى الله سبحانه في كتبهم، ثم قرؤوا النصوص قراءة واعية وخلصوا بأنها((إن وافقت المعقول تركت وظواهرها، وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها، واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة، فيجب ردها إذ ذاك إلى المجاز))[٥]، ولعلماء المسلمين جهود قيِّمة في بيان ذلك، وجميع من تناول هذه القضية وجه نقده إلى هدم ما يدعيه النصارى من حمل الألفاظ الواردة في التوراة والإنجيل في هذه القضية على حقيقتها، وأنها تتعارض مع العقل في المفهوم الحقيقي للبنوة وفي غيره، فلا يقبلها بحال من الأحوال، لأنها مستحيلة في حق الله تعالى، ومن هؤلاء العلامة (رحمة الله الهندي)[٦]، و(د.سعد الدين صالح)[٧]، و(أحمد ديدات)[٨]، فالعلامة (رحمة الله الهندي) في نقده لهذا المفهوم يضعف حمل اللفظ على المعنى الحقيقي ويرده، فيرى أن إطلاق لفظ ابن الله على المسيح في غاية الضعف؛ فلا يصح أن يكون لفظ «ابن». بمعناه الواقعي؛ لأنّ معناه باتفاق لغة أهل العلم من تَولَّد من نطفة الأبوين، وهذا محال في هذا المقام، فلابدَّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، أما

الأستاذ (أحمد ديدات) فيرى أن البنوة لله لفظ مجازي يستخدم على سبيل الاستعارة، ولفظتي ابن الله كانتا شائعتين في الاستخدام لدى اليهود، في حين يؤكد الدكتور (سعد الدين صالح) نقده بالاستدلال من العهد الجديد لبيان خطأ النصارى في فهمهم البنوة وردهم إلى المفهوم الحقيقي لها؛ ولذلك بدأ نقده معرّضا بالمفهوم الحقيقي للبنوة التي وردت في التوراة والإنجيل، هل هي بنوة حقيقية من طريق التوالد والتناسل والنسب؟ أو هي بنوة مجازية معناها القرب من الله والسير على تعاليمه[٩].

ممّا تقدّم يتضح لنا أن أدوات الأدب المقارن التي يعتدُّ بها كانت متاحة أمام علم مقارنة الأديان في الخطوط العامة لاشتغالهما؛ لذا نجد دارسي علم مقارنة الأديان يوظفون علوم العربية كالمجاز والتشبيه والاستعارة وغيرها، في ردهم على النصارى، وممّا يؤيد ذلك أيضا أن بعض أساطين الأدب المقارن كتبوا في مقارنة الأديان، ونسبوا تلك الدراسة إلى حقل الأدب المقارن، كالدكتور داود سلوم الذي اجترح بحثاً كبيراً بعنوان (المنهج المقارن لأبي الفداء في كتاب قصص الأنبياء بين التراث الإسلامي وأسفار التوراة) تناول فيه محاولة ابن كثير المقارنة بين النص القرآني بصفته النسخة الأخيرة من الحقيقة الدينية وأسفار التوراة[١٠]، فالمدخل الذي أباح له إدخال بحثه في الدراسات الأدبية المقارنة أنّه تعامل مع النص القرآني من ناحية لغته العالية وأسلوبه البلاغي الرفيع، فضلاً عن جوانبه المعرفية التي لها الكلمة الفصل في كونها الحقيقة الخالدة التي لا يدنو إليها الريب، ولا يعْتَورُها الشك، فمن هنا نجد أنَّ الحدود الفاصلة بين الأدب المقارن وعلم مقارنة الأديان قد تتلاشى في كثير من الدراسات، ممّا يتيح حرية الاشتغال لدى الدارسين في كلا الميدانين.

المبحث الأول: البعد التنظيري.

(اشتراطات تحقّق المنهجية المقارنة عند الإمام الرضا عليه السلام).

أولاً: الصلة التاريخية العامة:

لا يمكن لدارس في علم مقارنة الأديان أن يحيد في اشتغاله عن تلمس الكيفية التي أوصلت كتب العهدين إلى المهتمين بإضاءة ما ادْلَهَم في جنباتها، ومطالعة ما أحدثه كرُّ الزمان على تفصيلاتها، ومراجعة ما عاثت به أيدي المحرِّفين؛ حتى أفرغتها من محتوياتها الإلهية؛ لتحيلها إلى أسفار مزيفة، كتبت لتلائم مصالح منشئيها وأهوائهم.

ولا بدّ لنا من الإشارة، إلى أن الصلة التاريخية، التي تثبت اطّلاع من تكفّلوا في الدراسات المقارنة، التي تناولت كتب العهدين، هي ذاتها في الدراسات التي تخص مقارنة الأديان جميعاً، ومن أجل ربط السبب بالمسبب، وإحالة الأمور إلى مظانِّها؛ لإحكام تلك الصلة، التي تعد اللازمة الأهم، إذ تشترطها مدارس المقارنة الحديثة، وتعتمدها أساسا لقيام المقارنات التي مهّدت لدراسات كبيرة، استطالت على مساحة واسعة من الكتب الذائدة عن القرآن الكريم، وتوثيق العرى بينه وبين المؤمنين به إيماناً متدبراً، كان لزاما علينا الإشارة إلى أن المصادر التاريخية ذكرت أن كتب العهدين القديم والجديد كان يقرؤها أصحابها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بالعبرانية، ويفسرونها للعرب بالعربية، وهذا يعني أن معاني هذه الكتب كانت معروفة لدى بعض المسلمين من مشافهتهم لأهل الكتاب[11].

ومن ناحية أخرى فإنَّ بعض العرب-على ندرتهم- كان يعرف العبرانية، وكان يقرأ بها هذه الكتب ويترجم نصوصها إلى العربية، كما عُرف ذلك عن ورقة بن نوفل، وفضلاً عن ذلك، فإنَّ بعض من شرح الله صدورهم للإسلام من اليهود والنصارى قد نقلوا

بعض معارف تلك الأسفار إلى المسلمين، حسب الضرورة ومقتضى الحال، لكن على الرغم من ذلك أجمعت الدراسات على أن كتب العهدين لم تنقل إلى العربية في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، إلا أنّ بعض التابعين مثل مالك بن دينار، وكتّاب السيرة والطبقات مثل محمد بن إسحاق قد رووا نصوصاً دقيقةً من التوراة والإنجيل، ممّا يؤيد أن هذه النصوص قد أخذت أخذاً مباشراً من نسخ مترجمة عن العربية(١٢).

وهذا يعني أن تلك الكتب قد أصبحت منذ ذلك الحين معروفة، في ترجمتها العربية، ومتداولة بين علماء المسلمين بعد القرن الأول الهجري، لكن أقدم إشارة موثّقة عن أحد المترجمين هو ما جاء في الفهرست لابن النديم، عن ترجمات لأحمد بن عبد الله بن سلام، مولى هارون الرشيد، الذي ترجم بعض كتب العهدين: القديم والجديد من العبرانية واليونانية إلى العربية(١٣).

ثانيًا: الصلة التاريخية الخاصة:

إن مسألة الوقوف على المصادر التي استقى منها الإمام علي الرضا عليه السلام علومه تحيلنا إلى قضية مهمة، ذات خصوصية وتفرد، تتمثل بأسرار العلوم النبوية، التي أنقذ سراجها البشرية من ظلمات الجهل والتخبط، وسار بها إلى أنوار الوعي والهداية، وصيَّر مجموعة من البدو والمتصحرين فكرياً ليكونوا بناةَ حضارةٍ وقادةَ مجتمعات.

ولا شك أنّ استجلاء علم ليس له علاقة بالمحيط وتأثيراته، ولا يُكتسبُ بالجد والاجتهاد في نيله، له مصاديقه الكثيرة، فهو (العلم المعصومي اللدنّي)، إذ قال الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ﴿ الكهف:٦٥ ﴾

في إشارة إلى العلم اللدُنّي، فلا بدَّ لنا من وقفة أمام الأسرار والعلوم النبوية اللدُنّية التي حيرت أساطين البلاغة في عهد الرسول الكريم ﷺ، وأذكت جذوة

اللغط الذي دار بينهم بحثاً عن مصادرها، فضلاً عن قصدهم الأهم في النيل من القرآن العظيم؛ ليعضّدوا نأمة الشك التي اختزلت أفكارهم، في الركون إلى إجابات وتأويلات واهية، تريحهم من الإذعان لإحالتها إلى مصادرها الإلهية الحقة، فهم يعزونها تارة إلى السحر، وقد أشار النص القرآني ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ ﴿الدخان:١٤﴾ وتارةً أخرى إلى أشخاص من أهل الكتاب يستقي علومه الهائلة منهم، وقد وثّق القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [١٤] ﴿النحل:١٠٣﴾، فردَّ عليهم ربُّ العزة في آيات محكمات من لدن حكيم خبير بقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾. ﴿الشعراء﴾

فلا شكّ أنَّ علم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله (علم لدنِّي) حباه الله تعالى به، وقد أملته العناية الإلهية عليه، فهو ليس علماً مكتسباً، وما يصدق على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فيما يخص الملكات العقلية والمعرفية يصدق على الإمام علي عليه السلام، فهو نفس الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بنصِّ القران العظيم، في قوله تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿آل عمران﴾ [١٥]، وهذا ما أشارت إليه المرويات الصحيحة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فقد روت كتب الحديث قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها)) [١٦]، وقال الغزالي في رسالة العلم اللدُنِّي: قال الإمام علي عليه السلام: ((لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم))، وهذه المرتبة لا تنال بمجرَّد التعليم؛ بل يتمكّن المرء في هذه المرتبة بقوّة العلم اللدني [١٧]، وفي تكملة لما ذكره الغزالي يقول: ((إن هذه

الكثرة والسعة والانفتاح في العلم لا يكون إلا من لدن إلهي سماوي)) [١٨]، قال المفيد في الإرشاد: ممّا جاءت به الرواية في قضاياه والنبيﷺ حي موجود، إنّه لما أراد رسول اللهّﷺ تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلِّمهم الأحكام، ويبيِّن لهم الحلال من الحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن، قال له أمير المؤمنينؑ: ندبتني يا رسول اللهّ للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكلّ القضاء، فقال له: ادن مني، فدنا منه، فضرب على صدره بيده، وقال: اللّهم اهدِ قلبه وثبت لسانه، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام[١٩].

ولا يعني ما تقدّم أن المعصوم يكون مستطيلا على العلوم الإلهية جميعها((فعلم المخلوقين – وإن كانوا أنبياء أو أوصياء – لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضاً منهم وإن كان عالماً – بتعليم الباري إياه – بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فإنّه لا يعلم بمشيئة الله تعالى – لوجود شيء –أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم)) [٢٠].

وما يصدق على الرسول الكريمﷺ، وعلى الإمام عليؑ، يصدق على بقية الأئمة المعصومين، ومنهم الإمام الرضاؑ في محاججة[٢١] الجاثليق[٢٢]الرومي، وما يعزّز الروايات السابقة التي قطعت بسماوية العلم المعصومي، وعدم اكتسابه بالوضع الطبيعي، ومن أجل استجلاء هذا الموضوع، ومعرفة أبعاده سنقف عند محاججة مهمة في تعزيزنا لهذا الاستجلاء، الذي سنلتمس فيها أيضا قضية العلم اللدنّي في أحاديث المعصوم ؑ، وهي محاججة الإمام الرضا ؑ مع أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمين، أمثال الجاثليق، ورأس الجالوت[٢٣]، ورؤساء الصابئيين[٢٤]، والهربذ الأكبر [٢٥]، وأصحاب زردشت [٢٦]، ونسطاس الرومي[٢٧]، والمتكلمين، وقد أشار فيها بعبارات واضحة ذكرها فيما يخص العلم المعصومي اللدنّي يتلخص ذلك في الأمور الآتية:

١-إفصاح الإمام عليه السلام عن القصد الذي أقيمت من أجله هذه المحاججات، وأنَّ هدفها توهين الإمام، وإثبات عجزه في مجاراة أساطين المعرفة من الملل المختلفة، أمام المسلمين، وزرع الشكوك في قلوب الموالين له، وكانت قناعاتهم(المأمون والطبقة الحاكمة آنذاك) التي بنوا عليها تقييمهم لإمكانات الإمام الفكرية والجدلية قناعات واقعية، تتعلق بالمحيط الذي استمدَّ منه الإمام عليه السلام ثقافته، معرضين عن الفيوضات الإلهية التي أسبغتها العناية الربانية على هذه الإمكانات.

٢-إبراز الإمام عليه السلام لنتيجة هذا المحاججات والمناظرات سلفاً، وأنّه سيدحض حجج المناظرين والمحاججين له دحضاً مبرماً، وعندها سيثبت للمأمون بأن المكان الذي هو فيه ليس له، وهذه القناعة جعلت الإمام عليه السلام ينأى بنفسه عن ذلك.

٣-ردَّ الإمام عليه السلام على أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم برروميتهم، وهذه الردود لابدَّ أن تكون صدرت عن علوم لا يمكن تحصيلها بالطرق الطبيعية، لرجل قضى حياته في الجزيرة العربية لم يبرحها إلى مواطن هؤلاء، وإنما يكون مناط التحصيل محصوراً بالعلوم اللدنيّة التي خصَّه الله تعالى بها.

٤- أخبر الإمام الرضا عليه السلام أصحاب المقالات وعلماء الملل الأخرى بحقيقة كتبهم السماوية كما أنزلت، وليس كما حرفت وأرادوها أن تكون، وقد أقرّ أولئك بما ذكره الإمام عليه السلام.

٥-أقرَّ الجاثليق للإمام الرضا عليه السلام بأنه ليس في علماء المسلمين من يناظره، وأنه ألزمه بالحجج الدامغة التي لا محيص عنها، والتي حشدها من الإنجيل الذي يؤمن به ذلك الجاثليق [٢٨].

٥-إن الإمام الرضا ﷺ عالم الكتب السماوية المختلفة؛ ويمتدُّ علمه إلى التفسير الحقيقي الواقعي لتلك الكتب، بما أسبغ عليه الله سبحانه وتعالى من العلم اللدنّي، يقول الإمام ﷺ في محاججته مع رأس الجالوت: هل تنكر أن التوراة تقول لكم: ((جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران)) فقال الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها، قال الرضا ﷺ: أنا أخبرك به، أما قوله جاء النور من قبل طور سيناء، فذلك وحي الله تعالى الذي أنزله على موسى ﷺ في طور سيناء، وأما قوله فأضاء لنا من جبل ساعير، فهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم وهو عليه، وأمّا قوله فاستعلن علينا من جبل فاران فذلك جبل بمكة بينها وبينه يوم))[٢٩]، وغير ذلك من النصوص المفصلية التي فسّرها الإمام الرضا ﷺ.

فهنا لا يتاح لنا أن نضع العلم المعصومي بالوضع الطبيعي الذي نتعامل فيه مع الجهود الأخرى التي اضطلعت بالرد على اليهود والنصارى؛ كون ذلك العلم امتداداً للرسالة الملهمة، فلا يمكن بحال من الأحوال إدراجه رقماً يضاف إلى تلك الردود، لكن في الوقت نفسه لا يمكن تجاهله من لدن أرباب علم مقارنة الأديان وعدم الالتفات إلى الناحية الريادية الواقعية، التي لابدَّ أن يكون المشتغلون في هذا العلم قد خطّوا سطورهم الأولى فيها من هديه، واقتبسوا من سراجه، وانتهلوا منه في ذلك الميدان الرحب.

من هنا يمكن القول إنَّ كلَّ ما تقدّم يعدُّ صلةً تاريخيةً خاصةً فضلاً عن الصلة التاريخية العامة، أو بمنزلة الصلة التي تثبت إحاطة الأئمة المعصومين عليهم السلام بالعلوم المختلفة، ومنها الكتب السماوية الأخرى، التي وظفوها في الذود عن الدين الحنيف بمنهجية مقارنة لافتة.

المبحث الثاني: البعد الإجرائي

(المنهج المقارن في مناظرات الإمام الرضا عليه السلام مع النصارى).

من الروايات المهمة المقارنة للعترة الطاهرة، محاججة لافتة للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، مع أصحاب المقالات وأهل الأديان من الملل المختلفة والمتكلمين، نقف عندها لنخوض فيما شرعنا به من أثباتٍ للمنهج المقارن في محاججة الإمام الرضا عليه السلام مع النصارى، ومتوقفين عند هذا الحد في اشتغالنا، وذلك لكثرة المحاججات التي وردت في هذه الرواية، وتنوع توجهات المحاججين وأديانهم وقومياتهم؛ فيتطلب ذلك منا لكلّ محاججة دراسة مستقلة.

التزام الإمام الرضا عليه السلام بمنهج الإلزام:

نقف هنا أمام تفصيلات المحاججة بين الجاثليق الرومي والإمام الرضا عليه السلام مبتدئين بإيعاز المأمون للجاثليق بمحاورة الإمام الرضا عليه السلام منوهًا بنسبه الشريف الذي ينمو إلى ذروة العز فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم عليهما السلام، وعلي بن ابي طالب عليه السلام، فيعترض الجاثليق بقوله: ((يا أمير المؤمنين، كيف أحاج رجلا يحتج عليَّ بكتاب أنا منكره ونبي لا أؤمن به؟ فهنا ينبري الإمام الرضا عليه السلام للجاثليق قائلاً له: يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرُّ به؟ فقال الجاثليق عندها: وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل! نعم والله أقرُّ به على رغم أنفي، فقال له الإمام الرضا عليه السلام سل عما بدا لك واسمع الجواب، فقال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟ قال الرضا: إنا مقر بنبوة عيسى وكتابه وما بشر به أمته، وأقرّت به الحواريون))[٣٠].

من خلال ما تقدّم يمكن ذكر أهم النقاط التي وردت في هذه المحاججة، وعلى النحو الآتي:

١-إن الجاثليق الرومي قد رفض أن يحاججه الإمام الرضا ﷺ من كتاب غير الإنجيل، فرفض أيّ نص من القران الكريم أو أيّ حديث شريف للرسول الكريم ﷺ، مدعيا أنه لا يمكن أن يحاججه بكتاب هو منكر له، وبحديث نبي لا يؤمن به.

٢-وافق الإمام ﷺ على الاحتجاج بالإنجيل حصرا، معتمدًا على العلم اللدُنِّي الذي مكنه من سبر أغوار ذلك الكتاب، بنسخته الإلهية، وأسراره، وما التبس على علماء النصارى من أخباره، وما استجد عليه من تحريفٍ وتزييفٍ، أخرجه من حلته السماوية، وكلام عيسى ﷺ، وما رواه الحواريون، وقد ألزم نفسه في ذلك بما أسماه المتأخرون (منهج الإلزام)، وهو منهج يعبِّر عن سموٍ فكريٍّ، وقدرةٍ علميةٍ تميّز بها بعض علماء الإسلام، والمهتدون إليه من اليهود والنصارى، إذ وضعوا على أنفسهم إلزاما ألا يوردوا على أهل الكتاب حجة إلا من كتبهم المسلَّمة عندهم، مع اعتقاد أهل الإسلام أنها محرّفة ولا حجة فيها يقينا، ولكنها مجاراة الخصم الضعيف، والأخذ بيده إلى حق من الطريق القريب[٣١]، وهو منهج لا يقوى عليه إلا المهتدون الذين افنوا حياتهم علماءَ في دين النصارى ثم اهتدوا إلى الإسلام، لكن الإمام الرضا ﷺ زاد عليهم بالتجليات الغيبية اللدُنيَّة التي ذكرناها سابقا.

٣-أفصحَ الإمام الرضا ﷺ عن عقيدته في النبيّ عيسى ﷺ وكتابه وما بشر به أمته، بأنه نبي كريم من أنبياء الله الصالحين، ودينه دين حق، ورسالته رسالة حق، حتى ظهور الرسالة المحمدية، وهذا هو نص ما شهد القرآن به لعيسى، ولأنبياء الله الصالحين قبله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ﴿ البقرة:٢٨٥ ﴾

إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله من الإنجيل:

بعد ذلك يضطلع الإمام الرضا عليه السلام في الرد على ما بدأه الجاثليق من إنكاره لنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وإثبات صدق الرسالة المحمدية السمحة من الإنجيل في المحاورة الآتية: ((قال الجاثليق: أليس إنما نقطع الأحكام بشاهدي عدل؟ قال الرضا عليه السلام: بلى قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد صلى الله عليه وآله، ممّن لا تنكره النصرانية، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا، قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفة يا نصراني ألا تقبل منى العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟

قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمه لي قال: ما تقول يوحنا الديلمي؟ قال: بخ بخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل: أن يوحنا قال: إنما المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشّرني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيه ولم يلخص متى يكون ذلك؟ ولم تسمِّ لنا القومَ فنعرفهم. قال الرضا عليه السلام: فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل، فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به؟ قال: سديدا. قال الرضا عليه السلام: لنسطاس الرومي كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل قال: ما أحفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: ألست تقرأ الإنجيل؟ قال: بلى لعمري قال: فخذ على السفر فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي، ثم قرأ الإمام عليه السلام السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف، ثم قال: يا نصراني أني أسألك بحق المسيح وأمه أتعلم أني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته، ثم قال: ما تقول يا نصراني، هذا قول عيسى بن مريم عليه السلام، فإن كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليهما السلام، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت بربك

ونبيك وبكتابك قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بانَ لي في الإنجيل وإني لمقرٌّ به، قال الرضا عليه السلام: اشهدوا على إقراره))[٣٢].

من خلال النص المقتطع المتقدم الذي تضمّن هذه المحاورة المهمة التي دارت بين الجاثليق الرومي والإمام الرضا عليه السلام تبين لنا ما يأتي:

١-استدرك الإمام عليه السلام بعد أن ذكر إيمانه بنبوة عيسى عليه السلام أنّه لا يؤمن بكل عيسى ابتدعوه في كتابه المحرف، ولفقوا على لسانه ما يخدم مصالحهم ويعلي شأنهم ويديم زعاماتهم، وعيسى هذا الذي ابتدعوه من مخيلتهم هو منكر لنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وكتابه، وفضلاً عن ذلك فإنهم قاموا بحذف الإشارات التي ورد فيها ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في الإنجيل الذي صدر عن الذات الإلهية المقدّسة.

٢-أثبت الإمام الرضا عليه السلام نبوة محمد صلى الله عليه وآله من الإنجيل وقرأ نصًا إنجيليًا حقيقيًا من السفر الثالث يثبت فيه اسم الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وقد أشهد على ذلك عالمًا من النصارى وعالمًا من اليهود؛ فشهدوا له بأن ما ذكره من خبر الرسول محمد صلى الله عليه وآله هو من الإنجيل حقاً وأقرَّ الجاثليق الرومي بذلك.

إبطال القول بإلوهية عيسى عليه السلام:

ونثبت نصاً مقتطعاً آخر من المحاججة نفسها على النحو الآتي: ((قال له: يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئا ضعفه وقلة صيامه وصلاته قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك وما كنت ظننت إلا إنك أعلم أهل الإسلام، قال الرضا عليه السلام: وكيف ذاك؟ قال الجاثليق: من قولك: إنَّ عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة وما أفطر عيسى يوماً قط ولا نام بليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلّي؟ ! قال فخرس الجاثليق وانقطع. قال الرضا عليه السلام: يا نصراني أسألك

عن مسألة قال: سل فإنّ كان عندي علمها أجبتك قال الرضا عليه السلام: ما أنكرت أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله عز وجل قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد، قال الرضا عليه السلام: فإنَّ اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام، مشى على الماء، وأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم تتخذه أمته ربّاً، ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل، ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبى بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم، قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه قال: صدقت ثم قال: يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات فاقبل اليهودي يترجح لقراءته ويتعجب! ثم اقبل النصراني فقال: يا نصراني أ فهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله فقال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله، فسألوه: أن يحيي لهم موتاهم فوجّه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلى الجبّانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا بإذن الله عز وجل فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش يسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أنَّ محمدًا بُعث نبياً فقالوا: وددنا أنّا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهائم والطير والجن والشياطين ولم نتخذه ربّاً من دون الله عز وجل ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم فمتى اتخذتم عيسى ربّاً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربّاً؟ ! لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من أحياء الموتى))[٣٣].

ويمكن لنا من خلال النصّ المقتطع السابق أن نثبت أمورًا عدة:

١-كان هذا المحور من المحاججة موظفًا من لدُن الإمام عليه السلام بإبطال القول بإلوهية عيسى عليه السلام وقطع حجج الجاثليق الرومي في ذلك، فكان الإمام عليه السلام حاسمًا في إسكات الآخر منذ بداية الحوار، فقد بادره برواية استفز بها دواخله، فذكر له قلة صوم وصلاة عيسى عليه السلام، مما جعل الجاثليق ينكر على الإمام ذلك، مجيباً له بأن عيسى عليه السلام لم يفطر يومًا واحدًا، ولم يترك قيام ليل في صلاة، فكأن الإمام عليه السلام قصد أن يوصله إلى هذا الرد، كي يفحمه بأن عيسى عليه السلام عبد من عبيد الله، ومخلوق من مخلوقات الله، فهو يصلي ويصوم لإرضاء الله تعالى، وليس من المعقول أن يصلي الإله عيسى الذي يزعمونه إلى الله تعالى.

٢-إن ذكر الإمام عليه السلام أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله، نالت إنكارًا من الجاثليق؛ لأنها تتعارض مع إلوهيته لأنّ عيسى عليه السلام عنده ربّ يستحق أن يعبد كونه يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص، فحشد له الإمام عليه السلام روايات موثقة عن أنبياء الله السابقين، الذين قاموا بإحياء الموتى بإذن الله تعالى، ثم أشهد رأس الجالوت على نص من التوراة قرأه الإمام عليه السلام كاملًا، يثبت فيه قيام نبي الله حزقيل عليه السلام بإحياء خمسةٍ وثلاثين ألف رجل بعد موتهم بستين سنة، فإذا كان عيسى عليه السلام يُعبَد لأجل ذلك، فإن أنبياء الله السابقين الذين أحيوا الموتى وأبرؤوا الأكمه والأبرص أولَى بالعبادة؛ لسبقهم في ذلك.

٣-ذكر الإمام الرضا عليه السلام أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أمر الإمام علي عليه السلام، بعد أن اجتمعت عليه قريش؛ أن يحيي الموتى، فناداهم الإمام علي عليه السلام: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قوموا بإذن الله عز وجل، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلّمه البهائم والطير والجن والشياطين، لكن المسلمين لم يتخذوه ربًا، بل عبد ورسول من لدن الله تعالى.

ويمكن تلخيص الموارد التي ذكرها في إبطال إلوهية عيسى عليه السلام بما يأتي:

١.إن عيسى عليه السلام كان دائب العبادة لله تعالى، وقد أقرّ الجاثليق بذلك.

٢.ذكر الإمام الرضا عليه السلام موارد عدة، قام فيها أنبياء سابقون لعيسى عليه السلام بإحياء الموتى بإذن الله تعالى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وهذه الموارد هي:

أ.معجزة نبي الله اليسع عليه السلام بقيامه بما قام به عيسى عليه السلام في إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ومعجزته بالمشي على الماء بإذن الله تعالى.

ب. قام نبي الله حزقيل عليه السلام بإحياء خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ذكر ذلك الإمام عليه السلام، وقرأ رواية إحيائهم في سفر من أسفار التوراة أمام الحاضرين، وأشهد رأس الجالوت اليهودي على صحتها، فأقر بذلك.

ج- معجزة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله بإحياء الموتى، وإبرائه للأكمه والأبرص والمجانين.

د- قيام نبي من أنبياء بني إسرائيل بإحياء ألوف من قومه فتك بهم الطاعون وأحالهم إلى عظام بالية، بإذن الله تعالى[٣٤].

ه-معجزة نبي الله إبراهيم عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعاً ثم وضع على كلّ جبل منهن جزءًا، ثم نادهن فأقبلن سعيًا إليه بإذن الله[٣٥].

ح- معجزة نبي الله موسى عليه السلام بإحياء أصحابه السبعين الذين قالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة، فاحترقوا عن آخرهم، فأعادهم الله إلى الحياة بدعاء موسى عليه السلام[٣٦].

ممّا تقدّم أثبت الإمام الرضا عليه السلام بطلان القول بإلوهية عيسى عليه السلام وقطع حجج الجاثليق الرومي في ذلك، من خلال المحاورة نفسها، ومن الحجج التي حشدها من التوراة والإنجيل، وأثبت بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى.

الإنجيل السماوي والإنجيل المنتحل:

ذكرت الآيات المحكمات في القران الكريم استشراء التحريف الذي طال كتب العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل)؛ إلى الحد الذي قد يصل إلى إفراغهما من محتواهما السماوي، واستحالتهما إلى كتابين يضجّان بالموهومات الخرافية التي نسبوها إلى الله زورا وبهتانا، وقد كان في علوم الإمام الرضا ﷺ وعلى وفق معرفته اللدنية بالكتب السماوية المنزلة من الله تعالى وحفظه لها، واطّلاعه على نسخها التي تصرّف بها الوضّاع وحرّفوها، وفي النص المقتطع الآتي من المحاججة ما يفصح عن ذلك: ((قال: الرضا ﷺ: يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه، عند من وجدتموه، ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟ فقال له: ما افتقدنا الإنجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غضّاً طرياً فأخرجه إلينا يوحنا ومتى، فقال له الرضا ﷺ: ما أقلّ معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه؟ ! فإن كان هذا كما تزعم! فلم اختلفتم في الإنجيل وإنّما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أياديكم اليوم فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، اعلم أنه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم ﷺ وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم (الوقا ومرقابوس) إنَّ الإنجيل في صدورنا، ونحن نخرجه إليكم سفرًا سفرًا في كلّ أحد، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس، فإنّا سنتلوه عليكم في كلّ أحد سفراً سفراً، حتى نجمعه كلّه، فقعد (الوقا ومرقابوس ويوحنا ومتى) فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأول وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ الأولين أعلمت ذلك؟ فقال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه، وقد علمته الآن، وبانَ لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته، شهد قلبي أنّها حق، فاستزدت كثيراً من الفهم))[٣٧].

إنَّ النص المتقدم الذي اقتطعناه من المحاججة يثبت لنا ما يأتي:

-إنَّ الإنجيل الذي صدر عن الذات الإلهية قد فُقِد بطريقة أو بأخرى بعد ما قاله وزعمه أهل الكتاب من قتل (عيسى) وصلبه، مع كون هذا القتل أو الصلب أمراً باطلاً؛ إذ لو سألوا عن وفاة (عيسى) وموته بغير هذا الزعم متمسّكين بظاهر قوله تعالى: ﴿ يا عيسى إنّي متوفيك ورافعك إلى ﴾ ﴿ آل عمران:٥٥ ﴾، وفي ﴿ لَمّا تَوَفَّيْتَنِي كنتَ أنتَ الرقيب عليهم ﴾ ﴿ المائدة: ١١٧ ﴾ لكان له وجه، وقد أقر الجاثليق الرومي بفقدان الإنجيل السماوي.

-إنّ الإنجيل الذي كتبه علماء النصارى (الوقا ومرقابوس ويوحنا ومتى) هو إنجيل موضوع، بدليل أنّ هؤلاء الأربعة هم من تلاميذ الأولين، وبدليل الاختلاف الكبير الذي حصل بعد كتابته بين النصارى، ولو كانوا كتبوه على عهده الأول لما اختلفوا فيه، وقد أقرّ الجاثليق بذلك وسلّم باستطالة العلم المعصومي الرضوي.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى نتائج عدة، كان أهمها ما يأتي:

١- اتّضح لنا من البحث أنّ دارسي علم مقارنة الأديان يوظفون علوم العربية كالمجاز والتشبيه والاستعارة وغيرها في ردهم على النصارى، وأن دارسي الأدب المقارن ينسبون أعمالاً هي في صميم علم مقارنة الأديان إلى الأدب المقارن؛ ممّا يتيح حرية الاشتغال لدى الدارسين في كلا الميدانين.

٢-إنّ كتب العهدين القديم والجديد كان يقرؤها أصحابها قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها بطريقة أو بأخرى، لكن أقدم إشارة عن أحد المترجمين هو ما جاء في الفهرست لابن النديم عن ترجمات لأحمد بن عبد الله بن سلام مولى هارون الرشيد، الذي ترجم بعض كتب العهدين: القديم والجديد من العبرانية واليونانية إلى العربية.

٣- إنّ تجلّي العلم المعصومي اللدُنِّي الرضوي جعل أدوات المقارنة وعلم مقارنة الأديان لا تسير سيراً طبيعياً في تعاملها مع النصوص المعصومية؛ فعملية البحث عن مصادر العلوم وكيفية وصولها إلى المشتغلين بهذا العلم قد تعاملت مع النصوص التي بين أيدينا تعاملاً خاصاً، فالإمام المعصوم عليه السلام قد أمسك بدفة العلوم من بابها الواسع الذي لا تحدّه حدود، وسرعان ما تحول المحاجج الآخر إلى تلميذ صاغر لا يقوى إلا على الاستماع المذعن لهيبة الحقيقة المتوجة بالدلائل الدامغة.

٤- إنّ العلم المعصومي لا يمكن التعامل معه بالوضع الطبيعي الذي نتعامل فيه مع الجهود الأخرى، التي اضطلعت بالرد على اليهود والنصارى؛ كون ذلك العلم امتداداً للرسالة الملهمة، فلا يمكن بحال من الأحوال إدراجه رقماً يضاف إلى تلك الردود، لكن في الوقت نفسه لا يمكن تجاهله من لدُن أرباب علم مقارنة الأديان وعدم الالتفات إلى

الناحية الريادية الواقعية، التي لابدَّ أن يكون المشتغلون في هذا العلم قد خطّوا سطورهم الأولى من هديه، واقتبسوا من سراجه، وانتهلوا منه في ذلك الميدان الرحب.

٥- إنَّ مجريات محاججة الإمام الرضا عليه السلام بما أثبته البحث من لوازم المقارنات بما فيها من صلة تاريخية خاصة فضلاً عن الصلة التاريخية العامة، أو بمثابة الصلة التي تثبت إحاطة الأئمة المعصومين بالعلوم المختلفة، ومنها الكتب السماوية الأخرى، التي وظفوها في الذود عن الدين الحنيف كانت موافقة لمنهجيات المقارنة الحديثة توافقا لافتًا.

٦- ألزم الإمام الرضا عليه السلام نفسه في محاججته مع الجاثليق الرومي بما أسماه المتأخرون (منهج الإلزام)، وهو منهج يعبِّر عن سموٍ فكريٍّ وقدرةٍ علمية تميّز بها بعض علماء الإسلام، والمهتدون إليه من اليهود والنصارى، إذ وضعوا على أنفسهم إلزاماً ألا يوردوا على أهل الكتاب حجة إلا من كتبهم المسلَّمة عندهم، وهو منهج لا يقوى عليه إلاّ المهتدون الذين أفنوا حياتهم علماء في دين النصارى ثم اهتدوا إلى الإسلام، لكن الإمام عليه السلام زاد عليهم بالتجليات الغيبية اللدُنيَّة التي ذكرناها سابقا.

٧- أثبت الإمام الرضا عليه السلام نبوة محمد صلى الله عليه وآله من الإنجيل، وقرأ نصًا إنجيليًا حقيقيًّا، من السفر الثالث يثبت فيه اسم الرسول صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام، وقد أشهد على ذلك عالمًا من النصارى وعالمًا من اليهود؛ فشهدوا له بأن ما ذكره من خبر الرسول محمد صلى الله عليه وآله هو من الإنجيل حقًا، وأقرَّ الجاثليق الرومي بذلك.

٨- أثبت الإمام الرضا عليه السلام بطلان القول بإلوهية عيسى عليه السلام، وقطع حجج الجاثليق الرومي في ذلك، من خلال المحاورة نفسها، ومن الحجج التي حشدها من التوراة والإنجيل، وأثبت بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى.

٩- إنَّ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل هي كتب سماوية صدرت عن سفر واحد

يرجع بها جميعاً إلى الذات الإلهية المقدّسة، وأنَّ ما ورد من تحريف للتوراة والإنجيل كان في أزمان لاحقة لتنزيلها، فهناك إنجيلان، الإنجيل الأول هو الذي صدر عن الذات الإلهية، وقد فُقِد بطريقة أو بأخرى، وقد أقر الجاثليق الرومي بفقدان الإنجيل السماوي، والإنجيل الذي كتبه علماء النصارى (ألوقا ومر قابوس ويوحنا ومتى) هو إنجيل موضوع، وقد أقرّ الجاثليق بذلك وسلّم باستطالة العلم المعصومي الرضوي.

هوامش البحث:

١) علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، د. إبراهيم تركي، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١: ١٢- ١٣.

٢) الأدب العام المقارن، دانييل و هنري باجو، ترجمة د غسان السيد، إتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٩٧م: ١٥.

٣) البقرة، آية٧٩؛ آل عمران، آية ٩٤؛ الأنعام، آية٢١، ٩٣، ١٤٤؛ الأعراف، آية٣٧؛ يونس، آية ١٧؛ هود، آية١٨؛ الصف، آية ٧...

٤) هل العهد الجديد كلمة الله، د. منقذ بن محمود السقار، ط١، دار الإسلام للنشر والتوزيع- مكة المكرمة، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧: ٦.

٥) الرد الجميل للغزالي، حققه وترجم مقدمات الأب روبير شدياق لنشرته الأولى لهذه الرسالة عبد العزيز عبد الحق حلمي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة١٣٩٣هـ-١٩٧٣م: ٢٤٢-٢٤٣.

٦) رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي: عالم مسلم مشهور ولد في كيروانة في الهند ١٨١٨م وتوفي في مكة ١٨٩١م. اشتهر لمناظرته القس فندر وتأليف كتاب إظهار الحق (كتاب إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط١/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة- الرياض، ١٤١٠ هـ: ١/ بطاقة الكتاب، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https: / /ar.wikipedia.org /wiki)

٧) سعد الدين السيد صالح، كاتب معاصر، عمل عميدا لكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، وله مؤلفات عدة منها كتاب أزمة العلاقة بين المسلمين والغرب، وكتاب القضاء على صورة الأسرة المسلمة.

٨) ديدات، أحمد حسين (١٣٣٧هـ- ١٩١٨م)، الشيخ أحمد حسين ديدات، داعية إسلامي ولد في مدينة بومباي الهندية وسافر مع أبيه طلبا للرزق ليعيش في جنوب إفريقيا، عقد مناظرات عديدة مع خصوم الإسلام والمناوئين له. إضافة إلى قيامه بإنشاء معهد السلام الإسلامي لتدريب الطلاب على القيام بالدعوة الإسلامية. وأصدر العديد من الكتيبات والمنشورات التي تردّ على خصوم الإسلام، وتدحض مزاعمهم، منها: ماذا يقول الإنجيل عن محمد؟؛ هل الإنجيل كلمة الله؟؛ المسيح في الإسلام؛ ما هو سفر يونان؟ (عن التوراة)؛ من أزاح الحجر؛ البعث والانتعاش؛ الصلب أو خرافة الصلب؛ صلاة المسلم. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.(أحمد ديدات، حياته- نشاطه- مناظراته، أحمد الجدع، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع- عمّان ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م: ٥-٩)

٩) جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر

«عرض ونقد»، (رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر – فرع المنصورة / ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م)، رمضان مصطفى الدسوقى حسنين تـ ١٤٣٣هـ، إشراف أ. د عمارة نجيب محمَّد موسى: ٣٢٩.

١٠) داود سلوم ناقداً مقارناً، ، دراسة في جهوده الأدبية المقارنة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها/ أدب مقارن، قدمها إلى مجلس كلية التربية في جامعة كربلاء، جليل صاحب خليل الياسري، إشراف أ . د فاروق محمود الحبّوبي ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م: ٨٦-٨٧.

١١) ينظر: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس، من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري، عرض ونقد، د. ياسر أبو شبانة علي الرشيدي، ط١، دار السحاب للنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٩م: ٥٧-٥٨.

١٢) المرجع نفسه: ٥٨.

١٣) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨: ٣٣.

١٤) عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان نصرانيان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار وللآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرءان الإنجيل فربما مر بهما النبي ﷺوهما يقرءان فيقف ويستمع فقال المشركون: إنما يتعلم منهما، وفي بعض الروايات أنه قيل لأحدهما أنك تعلم محمداًﷺفقال لا بل هو يعلمني، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كان بمكة غلام أعجمي رومي لبعض قريش يقال: له بلعام وكان رسول اللهﷺ يعلمه الإسلام فقالت قريش: هذا يعلم محمداً عليه الصلاة والسلام من جهة الأعاجم.(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: ١٤/ ٢٣٢)

١٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه الأقاويل، الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمرو(ت ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي- بيروت: ج١، ص٣٦٨- ٣٧٠.

١٦) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣ م: ١١/ ٦٥.

١٧) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني ت١٠٨١، تحقيق أبو الحسن الشعراني ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م: ٦/ ١٤٥.

١٨) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس(تـ ٦٦٤)، ط١، الخيام – قم، ١٣٩٩هـ: ١٣٦.

١٩) الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تـ٤١٣هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤١٤ - ١٩٩٣ م: ١/ ١٩٤. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي - بالقاهرة ١٣٥٦هـ: ٨٣.

٢٠) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي تـ ١٤١٣، ط٤، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٣٩٥ - ١٩٧٥م: ٣٩١.

٢١) المناظرة والمحاججة: هي المباحثة والمجادلة والمباراة في الإدلاء بالحجج، والمناظر المجادل المحاج وهو نظير خصمه، لأنه صار مثله في المخاطبة، وعلم آداب المناظرة هو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين، أو كيفية إيراد الحجج ودفع الشبه، والمناظر أما مجيب يحفظ وضعا، أو سائل يهدم وضعا، وقد تكون المناظرة سرّية انفرادية، أو علنية على ملأ من الناس، وقد تكون تحريرية كتابية، أو تقريرية لسانية بالمشافهة(لسان العرب: ٥/ ٢١٩، المعجم الوسيط: ٢/ ٩٣٢، كشف الظنون: ١/ ٣٨ و٥٧٩ و٧٢١).

٢٢) جاثليق كلمة معربة عبر السريانية من أصل يوناني هو καθολικός (كاثوليكوس). وتفيد معاجم اللغة أن الكلمة تعني «متقدم الأساقفة» أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية، ويكون تابعًا للبطريرك الذي هو رئيس جميع الإكليروس. وكانت كلمة «جاثليق» تُطلَق على كبار الأساقفة الذين يمنعهم طول المسافات بين مقرّهم ومقرّ البطريرك الذي يتبعونه من الاتصال به في كل أمر، فصار لهم التصرف شبه المُطلَق في تدبير شؤون رعيتهم. وكان هناك كثيرون من «الجثالقة» في العراق تحديدًا، الجاثليق قديمًا هي رتبة كنسية أدنى من البطريرك وأعلى من المطران، وفي سنة ٦٢٨ م استبدل بلقب الجاثليق لقب مفريان، إلا أن كنيسة المشرق تستعمل لقب الجاثليق إلى جانب البطريرك، ويوقّع جاثليقها أدى الثاني بجاثليق بطريرك الكنيسة الشرقية الجاثليقية القديمة.(https: / /ar.wikipedia.org، وكيبيديا الموسوعة الحرة)

٢٣) رأس الجالوت: ترجمة عربية للعبارة الآرامية «ريشي جالوتا»، وهي بالعبرية «روش جولاه»، وتعني حرفياً «رئيس المنفى». وهو لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده. ولكن أول ذكر تاريخي لرأس الجالوت يقع في القرن الثاني بعد الميلاد (في فترة حكم الفرثيين). وكانت وظيفة رأس الجالوت وراثية، الأمر الذي أدَّى إلى الفساد والتآمر من أجل الاستيلاء عليها، ولكن كان لابد لمن يشغلها أن يكون من نسل داود. وقد ساد الظن بأن المنصب استمر حتى عام ١٠٤٠، ولكن العلماء يرون الآن أنه استمر (وإن كان ذلك بشكل اسمي) حتى القرن الثالث عشر أو حتى بعد ذلك، حينما قضى تيمورلنك على المنصب عام ١٤٠١، ثم حل محله منصب رئيس اليهود (في الدول الإسلامية) ومنصب الحاخام باشي (في الدولة العثمانية).(موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ط١، دار الشروق- مصر ١٩٩٩: ٤/ ٨٨-٨٩)

رأس الجالوت: ترجمة عربية للعبارة الآرامية «ريشي جالوتا»، وهي بالعبرية «روش جولاه»، وتعني حرفياً «رئيس المنفى». وهو لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده. ولكن أول ذكر تاريخي لرأس الجالوت يقع في القرن الثاني بعد الميلاد (في فترة حكم الفرثيين). وكانت وظيفة رأس الجالوت وراثية، الأمر الذي أدَّى إلى الفساد والتآمر من أجل الاستيلاء عليها، ولكن كان لابد لمن يشغلها أن يكون من نسل داود. وقد ساد الظن بأن المنصب استمر حتى عام ١٠٤٠، ولكن العلماء يرون الآن أنه استمر (وإن كان ذلك بشكل اسمي) حتى القرن الثالث عشر أو حتى بعد ذلك، حينما قضى تيمورلنك على المنصب عام ١٤٠١، ثم حل محله منصب رئيس اليهود (في الدول الإسلامية) ومنصب الحاخام باشي (في الدولة العثمانية.(موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ط١، دار الشروق- مصر ١٩٩٩: ٤/ ٨٨-٨٩).

٢٤)الصابئة: الصابئة وتسمى أيضاً الصابئة المندائية، وتعدُّ نبي الله يحيى بن زكريا نبياً لها. ويعتبرونه المسيح؛ لذا تطلق عليهم بعض الطوائف اليهودية نصارى يوحنا المعمدان. وهم لا ينكرون وحدانية الخالق، لكنهم يعتقدون بأمور كخلق الخير والشر، ووجود وسائط هي الكواكب. في الماضي، كان فريق منهم موحدين ذكرهم الله ـ سبحانه وتعالى في القرآن مع أهل الكتاب والنصارى. وقد تأثرت فرقهم المتعددة، من حيث العقيدة بمؤثرات كثيرة مجاراة للبيئة والظروف التي تحيط بهم؛ فقد تأثروا باليهودية، والمسيحية وبالإسلام. وتأثروا بالمجوسية قبل الإسلام لمجاورتهم للمجوس في بلاد فارس قديماً. كما تأثروا بالأفلاطونية المحدثة التي كانت في سوريا، وقد تأثروا بالفلسفة الإغريقية. (الموسوعة العربية العالمية، د. احمد مهدي الشويخات وآخرون، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International وشارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية وهناك ثبت بأسمائهم في آخر المجلد الثلاثين)، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض ١٩٩٩م: ١٥/ ٩)

٢٥)الهرابذة: خدم نار المجوس وقيل إنهم عظماء الهنود وعلماؤهم، مفردها هربذ»، وقيل هو رئيس خدام النار الذين يصلون بالمجوس، وقد تكلمت بها العرب قديمًا. وقد وردت هذه اللفظة في بيت شعر لجرير.(المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ١٦/ ٣٥٥)

٢٦)زرادشت: تروي الأقاصيص الفارسية أن نبياً عظيمًا ظهر في إيريانا- فيجو، «موطن الآريين» القديم قبل ظهور المسيح بمئات السنين، وكان شعبه يسميه زرشترا. وفي أمره كان اختلاف كبير

بين أرباب الملل والنحل وكلمات المؤرخين ويظهر في بعضها أن زرادشت كان تلميذ النبي,وقال بعض انه مرسل من قبل بعض أنبياء بني إسرائيل,وبعض المؤرخين جعل وجوده موهوما محضا. (قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت تـ١٩٨١ م، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٧٠٣-٧٠٥)

٢٧)النسطاس الكبير: والنِّطاسُّي والنِّطِّيسُ العالِمُ بالطبِّ وهو بالرُّوميّة النِّسْطاس.(كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٧/ ٢١٥)

٢٨)عيون أخبار الرضا عليه السلام، تـ ٣٨١هـ، تصحيح وتقديم الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي- ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م: ١٤٧.

٢٩)عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٤٨.

٣٠)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤١.

٣١) لماذا أسلمت، الحسن بن أيوب، تحقيق محمود النيجيري، ط١، مكتبة النافذة- مصر- الجيزة، ٢٠٠٦م: مقدمة المحقق: ١٢.

٣٢)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤١-١٤٢.

٣٣)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤٠.

٣٤)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤٤.

٣٥)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤٤.

٣٦)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤٤-١٤٥.

٣٧)عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٤٦.